

## التحليل الطبقي للمجتمع الجزائري الإمكانات و الحدود.

أ. بوداود سالم جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة.

البريد الإلكتروني: Boudaoud .salem@gmail.com

### ملخص :

النظرية الماركسية هي نتاج لظروف إقتصادية و إجتماعية و سياسية و ثقافية خاصة بمرحلة تاريخية معينة. و نتاج لمجاهات و تفاعلات مع النظريات والأفكار السائدة آنذاك. ففرضت تحليلاتها من خلال الطبقات الإجتماعية على المجتمعات الصناعية الغربية. لما كانت تملكه من إمكانات نظرية و تحليلية و نقدية للأبنية الإجتماعية و مشكلاتها الإجتماعية. و حتى أن السوسيولوجيين الجزائريين استخدموا مفاهيم الطبقة العاملة ، و البورجوازية في تحليلاتهم للطبقات في المجتمع الجزائري. إلا أنه في وقتنا الحاضر نشهد تراجعاً للماركسية كمرجعية فكرية في تحليل المجتمعات الغربية المعاصرة، و المناداة بالتخلي عنها و بأدواتها التحليلية. فنتساءل إذن : عن الظروف و الشروط التي نستخدم فيها مفهوم الطبقة الإجتماعية ؟ و كيف تعاملت بعض الدراسات و الأبحاث السوسيولوجية الجزائرية مع مفاهيم الطبقات الإجتماعية؟ و هل بالفعل أن التمايز الإجتماعي من خلال الطبقات الإجتماعية غير ملائم و تجاوزه الزمن في معالجة المجتمعات المعاصرة ؟ ، و ياترى ماهي دواعي تراجع و ضعف استخدامات مفاهيم التحليل الطبقي ؟ الكلمات المفتاحية: الطبقة الإجتماعية ، التراتب الإجتماعي ، الفئات الإجتماعية المهنية.

### CLASS Analysis in the Algerian Society: the possibilities and boundaries.

#### Abstract:

the marxist theory is the product of social conditions and the economic, political and cultural-specific historical stage. And the product of its confrontations and interactions with various ideas and theories which were prevailing. this theory imposed its Analysis through the concept of social classes which were applied to industrialised societies. Moreover the marxist theory contains a great theoretical and analytical and critical potentialities for comprehending social structures and its problems. And even the Algerian researchers use the concepts of working class, the bourgeoisie in their analysis of class in the algerian society. But we witness at this time a decline of marxist theory as an intellectual reference in analysing contemporary western societies, beside the call for the abandonment of analytical tools. So we

wonder in this intervention :- what are the conditions which allow us to use the concept of social class? – how the algerian studies dealt with the concepts of working class, and the bourgeoisie. ? - is it already talk social differentiation through social classes inappropriate and out dated in dealing with contemporary societies. ?- I wonder what are the raisons of decline and weakness of the usent of class analysis ?

**Key words :** social classes, social stratification, social categories.

### الطبقات الاجتماعية و التراتب الاجتماعي:

يقصد بكلمة التراتب الاجتماعي الصيرورة أو العملية التي يجري على أساسها ترتيب الأفراد و العائلات أو الفئات الاجتماعية وفق سلم ، بعضهم في الدرجات العليا ،وبعضهم الآخر في الدرجات الدنيا . إلا أن هذا التعريف يطرح عدة مشاكل حسب ستافنهاغن فهنك من يرى بأن التراتب يركز على قواعد ذاتية يكون فيها على أساس المكانة التي يحتلها الأشخاص في مختلف المواقع الاجتماعية، و التي يتدخل في هذا الأمر كل من الباحث و رأي الفرد بنفسه، و رأي الفرد بموقع الآخرين، و القبول الاجتماعي بالمواقع من جانب المجتمع بأكمله. أو يكون التراتب على أساس قواعد موضوعية فعلية و التي تكون فيها بعض المقاييس بمثابة مؤشرات خاصة لتحديد الرتب الاجتماعية نذكر منها الترتيب ، الثروة ،مصدر الدخل ، العمل الذي يشغله الفرد، الإطار الجغرافي الذي يقيم فيه، الأصل أو العرق ..إلخ. و يمكن تصنيف هاته المقاييس إلى مقاييس كمية التي يمكن أن تمثل بدرجات أو بخطوط بيانية (مقدار الدخل أو الترتيب) ، و المقاييس النوعية ( كامتلاك بعض الثروات أو عدم إمتلاكها،صفة العمل سواء كان يدوي أو ذهني، أداء وظائف توجيهية أو ثانوية تابعة، وموقع مختلف الجماعات العرقية...إلخ.

أما عن وحدة نظام التراتب فإما يكون الفرد أو الجماعة الاجتماعية ، و في غالب الأحيان يتم دراسة الأوضاع الفردية و هذا من خلال معرفة موقع الفرد داخل نظام التراتب . مما ينجر عنه الحديث عن أنظمة أوضاع بدلا من الحديث عن أنظمة تراتب. و هناك دراسات أخرى تبحث عن الوجود الموضوعي لسلسلة من المراتب الهرمية للفئات الاجتماعية المتباينة إلى حد ما . و تسمى هذه الزمر المنفصلة مراتب strates أو شرائح couches ويقصد بهم الفئات أو المقولات catégories الإحصائية و هي مجموعة من أشخاص يجمع بينهم عدد معين من المميزات القابلة للقياس ، أي يجمعهم وضع مشترك. أو جماعات groupements تتميز بسلوك مماثل، أو مواقف و آراء مشتركة، أو بدرجة معينة من التشاور المتبادل. إلا أن الطبقات الاجتماعية له معنى الزمر المنفصلة المترابطة هرميا في نظام التراتب.

ويستعين العديد من الباحثين السوسيولوجيين التفرقة بين التراتب و البناء الاجتماعي من التمييز الذي وضعه ماكس فيبر على أن المجتمع يحتوي على أنظمة للتراتب متميزة بوضوح فيما بينها، فهناك الطبقة الاجتماعية كبعد إقتصادي ، الوضع أو الحالة أو المكانة كبعد إجتماعي ، السلطة كبعد سياسي.أما عن

النقد الموجه إلى مخططات التراتب الاجتماعي هو كونها لا تتجاوز مستوى التجربة ، ثم لأنها عبارة عن مجرد وصف إحصائي يؤدي إلى قولب جامدة لا إلى فهم البنى الاجتماعية. فنحن بحاجة إلى تحليل بنائي ديناميكي للتراتب و تكون مرتبطة ببنى الطبقات الاجتماعية.<sup>1</sup>

### تمييز الطبقة عن كل من الفئة الاجتماعية و الطائفة la Caste :

تتميز الفئات الاجتماعية عن بعضها البعض من خلال خاصية أساسية مثل الحرفة أو وسيلة الحصول على الدخل أو الخلو من الحرفة ، و تنقسم الفئة الاجتماعية بدورها إلى العديد من الفئات فرعية أكثر تخصصا .أما عن الطبقة فهي على عكس الطائفة ليست مقفلة و بإمكان الإنسان الانتقال من طبقة لأخرى ، عكس الطائفة التي يكون فيها الشخص حبيس الطائفة التي ينتمي إليها طوال حياته. أما المراتب فهي فئات اجتماعية محددة من خلال نظام متدرج في المجتمعات . و أن الفصل بين هاته المراتب هي من صميم عمل الباحث الذي يرتب الأفراد في نفس المراتب سواء كانت حقيقية أو يعتمد السوسولوجي في إعدادها على نحو معين، و و يكون هناك تدرج بين هاته المراتب. في حين أن الطبقات الاجتماعية مثل الطائفات فهي منفصلة عن بعضها البعض ، و غير متجانسة و متميزة بخصائص كيفية و ليس فقط بخصائص كمية.<sup>2</sup>

هناك اختلافات نظرية و منهجية في تناول الطبقة الاجتماعية ؛ فإذا انطلقنا من كونها مقولة وصفية و سكونية ، فنحن أمام تصور إسمي نعتبرها كجزء من التراتب الاجتماعي ، و تتحدد من خلال معيار أو عدة معايير ( الدخل،المستوى العلمي ،...إلخ). أما إذا اعتبرناها كمقولة تحليلية ، فإنها تمثل بمثابة أجزاء من البنية الاجتماعية التي ترتبط بها و بعلاقات محدودة و دقيقة. فإننا بذلك نتبنى التصور الواقعي للطبقة الاجتماعية و التي يكون لها الوجود الحقيقي و تلعب فيه دورا في تطور المجتمعات. و أيضا هي مقولة تاريخية، فالطبقات الاجتماعية تتبدل و تتحول من مرحلة تاريخية لأخرى وهي تمثل التناقضات الرئيسية للمجتمع و هي حصيلة هذه التناقضات التي تطورها بدورها.<sup>3</sup>

## المقاربة الواقعية لكارل ماركس :

حسب الطرح الماركسي فإنه لا توجد الطبقات و لا يمكن تحديدها أو تمييزها إلا من خلال علاقاتهم بعضهم البعض ،سواء كانت علاقات تعارض أو تنافر،أو تكون طبقات سائدة أو مسودة. و نجد الأساس الإقتصادي هو الذي يحدد تكوين الطبقات الإجتماعية بالنسبة للماركسية و هي العلاقة بوسائل الإنتاج .، و تعرف الطبقة الإجتماعية على أنها المجموعات الكبيرة من الناس التي تتميز بالمكان الذي تحتله داخل نظام الإنتاج الإجتماعي محددًا تاريخيا و بعلاقتها بوسائل الإنتاج و بدورها في التنظيم الإجتماعي للعمل.

و تكون الطبقات واعية لذاتها ، أي جماعات لها مصالح ولديها نزوع لتنظيم نفسها قصد الفعل السياسي من أجل الوصول إل السلطة. وهكذا فإن "طبقة في ذاتها " و هي عبارة عن جماعة يؤمن لها موقعها الخاص في السلم الإجتماعي و الإقتصادي مصالح موضوعية "كامنة" تصبح "طبقة لنفسها أو جماعة ذات سلطة تنزع لتنظيم نفسها لمواجهة صراع ما.

و أن الصراعات و النزاعات بين الطبقات هي تعبير عن التناقضات الداخلية لأنظمة اجتماعية و 'اقتصادية ،التي يكون أساسها تناقض قوى الإنتاج و علاقات الإنتاج،والذي يكون السبب في نشوب الصراع بين الطبقات .فالطبقة السائدة و المسودة تمثل إحداهما علاقات الإنتاج القائمة في المجتمع و الأخرى قوى الإنتاج الجديدة الذي سيتعارض مع نظام العلاقات القائمة.

و أيضا فإن الطبقة ترتبط دائما ببنية إجتماعية إقتصادية معينة، و أن كل تغيير في بنية المجتمع ترافقه تحولات في خصائص الطبقة نفسها.<sup>4</sup>

و من المحاولات التي قدمت تعريفات شاملة عن الطبقة الإجتماعية ،نذكر تعريف françois dubet بحسب رأيه فإن للطبقات الإجتماعية الخصائص التالية :

- عبارة عن مجموعة من أفراد لديهم نفس المكانة في تقسيم العمل و في النظام الإجتماعي.أي يتقاسمون نفس الظروف الإجتماعية.
- يتقاسم الأفراد نفس الثقافة المشتركة و تتمثل في مجموعة طرق العيش و التفكير و نمط الحياة، و قيم مشتركة.
- هذا التجمع يشكل فاعلا جماعيا، بإمكانه التنظيم للدفاع عن مصالحه المشتركة للأعضاء، و أيضا التأثير على التوجهات العامة للمجتمع. فكما قال آلان ثوران فإن الوعي الطبقي لا يمكن أن يختصره في الوعي الذاتي الهوية فقط ، فإنه يستلزم كذلك وعي يتعارض مع الطبقة المنافسة، فتحدد الطبقة بعلاقتها بالطبقات الأخرى.

و يقترب من هذا العمل مساهمة Louis chauvel فهو يرى في الطبقات الإجتماعية أنها تمثل مجموعات غير متساوية في مواقع النظام الإنتاجي ، و أن للهوية الطبقيّة ثلاث أشكال:

- هوية زمنية: أي لها إمكانية إعادة إنتاج المجموعة و ديمومتها.
- هوية ثقافية: أي أنها تتقاسم نفس المرجعية الرمزية ، و نمط الحياة والذي يسمح بالاعتراف المتبادل فيما بينهم.
- الهوية الجماعية: و هي القدرة على التدخل جماعيا و بشكل صراعي في الفضاء السياسي من أجل إظهار وحدة الطبقة و مصالحها.

و من الأعمال التي استندت على التراث الماركسي و قدمت بالإضافة نجد أعمال Poulantzas فمن جهته الصيرورة القطبية للطبقات أفحمتها التمايزات الداخلية للطبقة العاملة (وجود التقنيين) و ظهور الطبقة البرجوازية الصغيرة (الإطارات و الموظفين) ، و هذا ما أحدث الهوة بين المصلحة الموضوعية و البناء الطبقي و الممارسات الظرفية ، و هذا ما يؤدي بنا القول أن هناك تقسيم موضوعي للطبقات و الوعي الطبقي .

و سمحت لنا أعماله التمييز بين المواقع و الأماكن الطبقيّة عن الأوضاع الطبقيّة ، فغالبا ما تشغل الطبقة وضعا طبقيًا يتفق مع مكانها فتدافع من خلاله عن مصالحها، و لكن تحدث أحيانا درجة من المفارقة بين المكان الطبقي و الوضع الطبقي . و يتحدد الوضع الطبقي من خلال الوعي الإجتماعي و التنظيم السياسي المستقل. و يطلق على المفاهيم المرتبطة بالأوضاع الطبقيّة مفاهيم الإستراتيجية و هي تشير إلى العمليات التي يحدث من خلالها الإستقطاب الطبقي و التحالفات الطبقيّة، فبالنسبة للطبقة المسيطرة يشكل تحالفها و تحالف أجنحتها ما يطلق عليه كتل القوة ، و كل طبقة تشكل قوة إجتماعية . أنظر الشكل التالي<sup>5</sup>:

الممارسات /النضال الطبقي		
العلاقات أو الترابط		التحديد البنائي
الأوضاع الطبقيّة		أماكن الطبقات
مفاهيم الإستراتيجية:	الإيديولوجية	تقسيم العمل الإجتماعي
القوى الإجتماعية	علاقات أيديولوجية للسيطرة و الخضوع	الطبقات الإجتماعية
تكنل القوة	النضال الأيديولوجي	الأجنحة الإجتماعية
الناس	السياسة	الشرائح الطبقيّة
	علاقات سياسية للسيطرة و الخضوع	الفئات
	النضال السياسي	
	الإقتصاد	
	علاقات الإنتاج و الإستغلال	
	النضال الإقتصادي	

### المقاربة الإسمية لماكس فيبر :

يميز فيبر بين ثلاث أشكال من التدرج الإجتماعي، فهناك تدرج في النظام الإقتصادي و في النظام الإجتماعي و في النظام السياسي. فنجد أن الطبقة الإجتماعية محددة في النظام الإقتصادي و المكانة في النظام الجتماعي و الحزب في النظام السياسي.

وعلى هذا الأساس فإذا كان ماركس ينطلق من الأساس الإقتصادي لفهم المجتمع فإن فيبر يرى في المجتمع أنه مبني من خلال ثلاث أنظمة. و أن الطبقة الإجتماعية تتحدد من خلال معيار إقتصادي و هو الوصول إلى الخيرات و الخدمات، وهم أفراد يتقاسمون نفس الوضعية الطبقيّة" بموجبها يستطيع الفرد أن يستحوذ على الممتلكات أو الخدمات في سبيل الحصول على ريع أو مداخيل "6 . أما عن المكانة فهي متعلقة بعوامل موضوعية مثل نمط الحياة ونوع التعليم، وبعناصر ذاتية مثل التقدير الإجتماعي والحصول على إحترام الآخرين. أما فيما يخص النظام السياسي فيظهر لنا التنافس بين الأحزاب السياسية من أجل ضمان السلطة في يد مجموعة للحصول على امتيازات مادية و مكانة لأعضائها، الذي يؤدي إلى وجود تراتبية على أساس الانتماءات الحزبية.

**أطروحة بيار بورديو التوفيقية :** حسب بورديو تتحدد الطبقات الاجتماعية من خلال<sup>7</sup> :

- الموقع الذي يحتله الأفراد في الفضاء الاجتماعي المبني.

- وجود الإنسجام بين الممارسات و هو ما يطلق عليه نظام الإستعدادات المصاغة إجتماعيا (لابيتوس) و التي تعكس الافتراضات الاجتماعية المتصلة بالواقع.

- تاريخها، أي بسيرورات الحراك الاجتماعي المتعلقة بتوجهاتها المستقبلية.

بخصوص المواقع الاجتماعية فهي تتحدد بحجم و بناء رأس المال .فهناك رأس المال الإقتصادي الذي تحدث عنه ماركس ،و أيضا رأس المال الثقافي أساسه الشهادات المدرسية ،و كذلك رأس المال الاجتماعي أي فضاء العلاقات التي يمتلكه الأفراد ، و أيضا رأس المال الرمزي و الذي يعبر عن مستقبل الطبقة فيما يخص حظوظ الترقية أو الانحدار. و أن التوليفة بين هذه الموارد يخلق فضاء إجتماعي متدرج (حسب رأس المال الشامل) و متميز (حسب بناء رأس المال).<sup>8</sup>

مانقوله عن أطروحة بورديو أنه حاول أن يستفيد من الإرث الماركسي و الفيبري ، فهناك تأثير واضح لماركس عندما يرى في أن الطبقة لا تظهر في حالتها الحقيقية إلا من خلال الحركة الاجتماعية و العمل السياسي، و أخذ بأفكار فيبر و يبدو ذلك جليا بخصوص تعددية أبعاد التدرج الاجتماعي.<sup>9</sup> و أيضا سمحت كلمت لابيتوس بتبيان أن الطبقات الاجتماعية لا تكمن فقط في الجانب الإقتصادي و لكن أيضا بنظام الإستعدادات الدائمة و المكتسبة من طرف الأفراد خلال التنشئة الاجتماعية ، و تتمثل في الإتجاهات وطرق العيش و الدوق و الممارسات الثقافية ، فهم يتقاسمون نفس لابيتوس و التي يدمجها الأشخاص و تصبح بمثابة مبادئ غير واعية للفعل و للتصور و التفكير.

إلا أن الطبقات بالنسبة لبورديو فإنها مجرد بناءات و تصميمات نظرية ، توجد إلا في الحالات الافتراضية و ليس في الحالات المعطاة. و الأفضل الحديث عن المواقع و العلاقات الطبقيّة و الطبقات المحتملة.<sup>10</sup>

## هل تمثل الفئات الاجتماعية المهنية طبقات إجتماعية ؟

لم تقدم التحاليل النظرية قراءة واحدة للتراتب الاجتماعي، فالإختلافات مازالت قائمة و مستمرة. على العكس من ذلك نجد أن الدوائر الإدارية و الإحصائية اهتدت إلى تبني أداة إحصائية، يعبر عنها بدليل الفئات الاجتماعية المهنية. الهدف منها ترتيب مجموع الناشطين في فئات إجتماعية مهنية، تكون فيها المهنة المعيار الأساسي لتجميع الأفراد في فئات آخدين بعين الإعتبار المكانة أو الوضعية القانونية للشخص (إن كان أجير يعمل لصالحه، أو يعمل في القطاع الخاص أو العام)، القطاع الذي ينتمي إليه (الصناعي، الفلاحي، الخدمات)، و تأهيلات الأفراد. و يعرفون "الفئة الاجتماعية على هذا الأساس الأشخاص الذين ينتمون إلى نفس الفئة، و يفترض أن تكون لديها نفس السلوكات و الآراء، و أن يرى الآخرون بأنهم ينتمون لنفس الفئة"<sup>11</sup>.

و نجد أن هناك إختلاف بين الهدف و خصائص كل من كلمة الطبقة الاجتماعية و دليل الفئات الاجتماعية المهنية. فنجد أن الهدف من الطبقات هو الكشف عن الفئات الملائمة لتحليل التعارضات الإقتصادية و الاجتماعية و السياسية. في حين أن الدليل يستخدم لترتيب الأفراد حسب الوضعية المهنية، و تجميعهم في فئات و فئات فرعية التي تتسم بالتجانس الاجتماعي. بالنسبة لخصائص كلمة الطبقات الاجتماعية فإن لديها تعريف علائقي يركز على العلاقات الاجتماعية للإنتاج لماركس و علاقات السيطرة للبيبر، و على ثنائية الهوية و التعارض. يضاف إلى ذلك إعتبار الطبقة كفاعل و كجماعة تضامنية. أما عن الأداة فهي تضم فئات مستقلة عن بعضها البعض. إضافة إل ذلك فإن لهذه الفئات الإحصائية الإسمية تأثير حقيقي على تصورات الأشخاص. و أيضا فهناك صعوبات في كلتا الحالتين للباحثين و المحققين، فيشكل الإلتزام الطبقي مشكل بالنسبة لبعض الأفراد، فيمكن أن يكون معيار المهنة غير كاف و هذا نظرا لتناقض الوضعيات و كذلك الموارد التي يحصل عليها الفرد خارج مهنته. أما بالنسبة للأداة يمكن أن يشكل التصنيف الأحادي للناشطين مشكل الفواصل و الحدود بين الفئات من خلال معايير دقيقة و محددة (المهنة، المكانة، الشهادة، القطاع العام / الخاص،.. إلخ). و يحاول في ذلك السوسولوجيين المرور و الإنتقال من التحليل بواسطة دليل الفئات الاجتماعية المهنية إلى التحليل على أساس الطبقات الاجتماعية. على الرغم من أن<sup>12</sup> "الدليل لا يتكلم على الطبقة بما أنه يهتم بالفئات الاجتماعية المهنية ولكن من زاوية التحليل السوسولوجي أن المنطق المتضمن يحيل إلى التمايزات بين مجموعات محددة بالمكانة التي تحتلها في البنية المهنية و ليس إلى تصنيفات بحسب درجات متواصلة في خط مقاييس الوجاهة مثلا". إلا أن هذا الأمر لم يسلم من وجود بعض الصعوبات التي تعترض الباحث. فمن جانب التحليل الماركسي نجد أن من بين النقد الذي لم يسلم منه الدليل و هو أنه لا يسمح بإظهار المهيمنة و المستغلة. على الرغم أن الكثير من الإدارات الإحصائية

من تعتبر الإطارات و المهن الفكرية بالطبقة العليا، و رؤساء الصناعة و التجارة و المهن الوسيطة بالطبقة المتوسطة، و أن العمال و الموظفين و الفلاحين يمثلون الطبقة الشعبية.

أما بالنسبة للتحليل الفيبري فبالرغم من التشابه الكثير بإعتبار أن الأداة تستخدم فئات إسمية ، و أيضا بأخذه بعين الإعتبار نمط الحياة. إلا أنه لا يأخذ في الحسبان مختلف التمايزات الإجتماعية التي تظهر في المجتمعات الغربية المعاصرة. فتتجاهل التغيرات المتسارعة في البناءات الإجتماعية من جراء الإنتماءات الإثنية و الدينية ، و إرتقاء النساء في المواقع المتقدمة للسلطة ، و مختلف أشكال الإقصاء الإجتماعي.<sup>13</sup>

### بعض الدراسات الخاصة بالطبقات الإجتماعية في الجزائر :

هناك العديد من الدراسات التي تناولت مسألة الطبقات الإجتماعية في الجزائر. فالبعض منها عالجه بشكل خاص سواء تعلق الأمر بالطبقات الريفية أو الطبقة الوسطى أو الطبقة العمالية ، و البعض الآخر إهتم بالطبقات الإجتماعية بشكل عام. و نجد من الدراسات التي كان إهتمامها بهذا الشكل الأخير ، ما أنجزه بيار بورديو في كتابه *travail et travailleurs en algerie* وهذا قبل الإستقلال بسنتين . و قد إرتكزت ملاحظاته على علاقة الجانب الإقتصادي بالجانب الثقافي، معتمدا في ذلك على معايير تسمح له فيما بعد تحديد مختلف الطبقات الإجتماعية ، وهذه المعايير هي : - القطاع الإقتصادي (الإقتصاد الحديث أو الإقتصاد التقليدي).

- ديمومة الشغل.

- نمط النشاط (يدوي أو غير يدوي).

- درجة التأهيل و مستوى التعليم.

ف نجد أن المعيار الأول و الثاني متعلقين بالبعد الإقتصادي أما البعدين المتبقيين فهما تابعين للبعد الثقافي. و أن التوليفة بين هاتين المعايير تتحدد لنا الطبقات. فمثلا طبقة البورجوازية الصغيرة تتشكل من العمال الدائمين غير اليدويين في القطاع الحديث مهما كانت مكانتهم و دخلهم. و هي تشكل البورجوازية الصغيرة حسب ظروف وجودها و باتجاهاتها و تطلعاتها و إيديولوجياتها. إلا أنه حسب محمد بوخبزة أن الطبقات التي تمت معالجتها هي مجرد مجموعات إجتماعية متجانسة نسبيا على أساس موقعها الإقتصادي ، وليس حسب مشاريعها المتعارضة مع المجموعات الأخرى. و هذا لأن الممارسات و السلوكات الإجتماعية متصلة بوضعية مزدوجة ، وهي الظروف السيئة التي كان يعيشها معظم الناس، و أيضا غياب الترقية الإجتماعية و المشاركة الفعلية في السلطات و عوامل محدداتها. فهي بالأحرى فاقدة للسلطات الثلاث الإقتصادية و الثقافية و السياسية. فهي مجموعة تملك العديد من الامتيازات مقارنة

ببقية الفئات ، إلا أنها فاقدة لكل أشكال السلطة ، فهي مسيطرة من طرف الطبقات المسيطرة ذات الأصول الأوروبية. و في هذا الصدد يقول بوخبزة انه يمكن اعتبار الجزائر برمتها أن لديها سلوك طبقة لمجموعة تضامنية *classe communautaire* مسيطر عليها.<sup>14</sup>

و ما قاله جيلالي ليايس عن مفهوم الطبقة الاجتماعية، أن هناك خصوصية للسياق الوطني يبعده عن التحليل التقليدي الماركسي. فهناك ضعف لثنائية الحراك التاريخي للبرجوازية / البروليثرية أو بالإمكان أن نصرح بعدم وجوده طبقات مستقلة. و لكي نتحدث عن الطبقة الاجتماعية بشكل عام أو الطبقة العمالية بشكل خاص أن نتساءل عن التناقضات الاجتماعية التي تحدد المحتوى التاريخي لهذا الواقع الخاص. و إذا أردنا الحديث أيضا عن الطبقة العاملة فإنه لا بد من توفر ظروف معينة :تشكيل أسواق (قوة العمل ، المنتوجات) و خلق جماعية العمل نسبيا مستقرة، و يكون هناك أيضا دورا لأجهزة الدولة لسيرها من خلال قوانينها و سلطاتها و مشروعها الاجتماعي التي تحمله. فمفهوم الطبقة العاملة يرجع بالأساس إلى الدولة. فالتواجد المستمر للسلطة السياسية في تشكيل جماعية العمل و تحديد مجال تعبيرها. و نجد أن خطاب الجهاز النقابي و خطاب المسيرين و أرباب العمل تتشابه فيما بينها فلا يوجد خطاب يتميز على الآخر. ما هو قائم بالأحرى هو سيطرة سياسية - إجتماعية - لأنه لا توجد طبقة تتحدث عن مكان تواجهها ، فكل واحد يستعين بخطابات الدولة للتعبير عن مصالحه.<sup>15</sup>

أما عن أحمد هني فقد حاول في كتابه التطرق لظهور التصنيع باستخدام التحليل الطبقي و أيضا الإنحرافات في الإستخدام اللغوي لكلمة البرجوازية و إغفال المسار الاجتماعي و التاريخي لتشكيل هذه الطبقة ، و على هذا الأساس فلا بد من التحديد الدقيق لهذه الكلمة حتى يتسنى لنا فيما بعد تطبيقها على واقعنا الاجتماعي. فالتصنيع هو عملية إجتماعية أكثر منها مهمة تقنية تكنولوجية. فهي ظاهرة للتنافس الاجتماعي ، كما حدث في أوروبا حين استولت البرجوازية على السلطة داخل المجتمع و أصبحت هي الطبقة المهيمنة على حساب الإقطاعية ، و هذا بفضل الصناعة. إلا أن في بلدان العالم الثالث فإنهم يعتبرون في تحليلاتهم البرجوازية كل الأغنياء و التجار و ملاك العقار بحيث أنهم ليسوا بطبقة برجوازية فليست لديهم الرغبة في الوصول إلى السلطة، و هذا ما أفرغ كلمة البرجوازية من محتواها التاريخي.<sup>16</sup>

### نهاية الطبقات

يبير أصحاب أفكار نهاية الطبقات أطروحاتهم بضعف و نهاية إعتقاد الماركسية كمرجعية تفسيرية للواقع الاجتماعي. و أيضا بإتساع الحراك الاجتماعي وزيادته الذي يعيق تحليل البناء الاجتماعي من خلال الطبقة الاجتماعية لأنه يفترض حد أدنى من ديمومة هذه الطبقات عبر الزمن. بالإضافة إلى زعمهم بنهاية الحتمية الطبقيّة ، و التحديد المسبق للحظوظ النسبية و التباين الاجتماعي بين الطبقات. و كذلك تراخ التصويت الطبقي الذي يفترض من الطبقة الاجتماعية كونها تضم أشخاصا لديهم ميولات و توجهات مشتركة، و يندفعون في نفس الإتجاه للمحافظة على مصالحهم المشتركة. و مايقدمونه أيضا كمبرر لتخليهم عن إستخدام الطبقات الاجتماعية في تحليل المجتمعات و هو صعود روح الفردانية التي تؤثر على التصرفات الفردية و هذا في مجالات الإستهلاك و النشاطات الأسرية و الترفيهية. فحسب رأيهم فإن أساليب الحياة أصبحت متعددة و نابعة من إختيارات الأشخاص و أذواقهم و طموحاتهم، ولا تمليها إنتماءاتهم الطبقيّة.<sup>17</sup>

### مؤيدي التحليل الطبقي

هناك من يدافع على إستخدام كلمة الطبقة الاجتماعية، لأنها تشير إلى ميكانيزمات السيطرة الاجتماعية داخل المجتمع. و أنها مازالت تحتفظ بقدرتها النقدية مما يحتم علينا الإبقاء على التحليل الطبقي ليس من أجل وصف الفئات الاجتماعية، و لكن من أجل قراءة خاصة للمشاكل الاجتماعية على أنها نتاج لسيطرة طبقية.<sup>18</sup>

وأيضا هناك من وجهة نظره الفائدة التي نجنيها من إستخدام مفهوم الطبقات الاجتماعية ، فحسب رأيه أن الوضعيات الصراعية التي تظهر في الواقع المعاش هو التبرير المنهجي للطبقات الاجتماعية . و أن هذا المفهوم بالإمكان التعامل معه إجرائيا ، و تعديله حسب السياق الذي يكون فيه. و هذا ما يجعل الكثير من الأبحاث تقضي إلى تناول مواضيع الحراك الاجتماعي. و هناك أيضا أهمية كبرى تتمثل في تقييم درجة صلابة الطبقات الاجتماعية ، و إدراك توجهاتها و تحولاتها ، و معرفة العوامل التي تساهم في تقويتها و تطورها.<sup>19</sup>

**خاتمة :**

إن الكلمات المستخدمة كما قالها أحمد بوخبزة لتحديد الفئات كانت غير مضبوطة "مطاطية" ، فتحدث عن البورجوازية الوطنية و بورجوازية الدولة ، و البورجوازية الصغيرة.. إلخ فتكون الحدود بين هاته الفئات غير دقيق و فضفاض .مما يحتم علينا إجراء بحوث معمقة لمعرفة الفئات الإجتماعية و تحليل عملها و ظروف تشكلها و إعادة إنتاجها و هذا سواء تعلق الأمر بالماضي البعيد أو الحاضر .

**الهوامش :**

1 ستافن هاغن رودولفو ،(1972) الطبقات الإجتماعية في المجتمعات الزراعية ،ترجمة ناجي أبوخليل،دار الحقيقة للطباعة، بيروت، . 16-19.

2 Jean Cazeneuve ,(1976), Dix grandes notions de la sociologie , Ed du Seuil , Paris, .153.

3 ستافن هاغن رودولفو ، نفس المرجع،.22-23.

4 نفس المرجع ، .24-27.

5 أحمد زايد ،(2008)الدولة بين نظريات التحديث و التبعية، نهضة مصر للطباعة و النشر ،.100-103.

6 . يانيك لوميل ، (2008) الطبقات الإجتماعية،ترجمة جورجيت الحداد ،دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت،.30.

7 Jacques Cohen-hunter,(2005) « le concept de classe sociale,source d'incertitudes théoriques » ,**Carnet de bord**,N° 10,décembre.13.

8 Serge Bosc,(2004) Stratification et classes sociales, la société française en mutation,Ed Armand colin,. 41.

9 Cohen –hunter ,OP.cit,.13.

10 Serge Bosc , OP.cit .P.42.

11 lbid p82 .

12 يانيك لوميل ، نفس المرجع، ص.80.

13 Serge Bosc ?OP.cit P.63.

14 M'hamed Boukhobza(1989),Rupture Et transformation sociales en algerie, volume 2,Ed,OPUF ,Alger.450-459.

15 Djillali Liabes « Structuration économique,émergence des classes sociales et constitution de l'Etat-nation :la nécessité d'une mise en relation » ,**Cahier du cread**, N°03,1984.

10Ahmed heni ,(1993)**le cheikh et le patron** usage de la modernite dans la reproduction de la tradition ,Ed OPU ,Alger,.51-72.

11 يانيك لوميل ، نفس المرجع،.99-108.

18 François Dubet,(2003) « Que faire des classes sociales ? » ,**Lien social et politiques**,N49,.75-77.

19 Jean Cazeneuve , OP.cit.212.